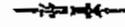


كتاب رسوم دار الخلافة

لهلال بن المحسن الصابي

للأستاذ ميخائيل عواد



استوطن بغداد في صدر الدولة العباسية فئة محلّيها الصابئية،
ترحلت إليها من حرّان والرقّة المشهريين بمنازل الصابئية. تلك
الفئة هي آل زهرون وأنسابهم آل قرّة

أصاب هذه الجماعة الصابئية في بغداد نصيباً وافراً من العلم
والأدب والطلب، فمهرت في كلياتها وجزئياتها، ودفعتها فطنتها
وتوقد ذكائها إلى تقلد جلائل الأعمال بمخدمة خلفاء بني العباس
وأمرائهم ووزرائهم، فسار ذكرها في الآفاق، وكان عليها للمهاد
لطائفة من الأعمال التي قامت بها خير قيام
ومما زاد في علو شأن هذه الأسرة أن جماعة من أفرادها
خلّفوا مؤلفات جليّة في بحوث نافذة كالأدب والتاريخ والطلب
والمفلك وغيرها. وسيكون مدار كلامنا^(١) على أحد أعلام هذه
الأسرة وهو: «هلال بن المحسن الصابي».

مولده ونشأته

هو أبو الحسين [وقيل أبو الحسن] هلال بن المحسن^(٢)
ابن أبي إسحق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون ابن
حيون^(٣) الصابي^(٤) الحرّاني^(٥)، لقب بالريسي، كان مولده
ببغداد في شوال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة للهجرة، ونشأ بها.
وكان أبوه المحسن صابئياً، وأمّه أخت ثابت بن سنان بن قرّة

- (١) إن جميع ما ذكرناه في هذا المقال مستخلص من المقدمة المسببة
التي وضعتها لكتاب: «رسوم دار الخلافة» الذي نعتني بنشره الآن
(٢) المحسن كعدت، وغلط من ضبطها ككرم (من المساعد:
وهو معجم للاب أنستاس ماري الكرملي، لا يزال مخطوطاً)
(٣) حيون كقبووم (للمساعد)
(٤) الصابي مهموزة الآخر، وأخطأ من كتبها بالياء، لأن المعنى
بتغير تغيراً عظيماً (المساعد)
(٥) هكذا اشتهر عند العوام. والاصح الحرّاني؛ لأن النسبة إلى
حران لمّا قبل حرّاني؛ ولغير المائل حرّاني (للمساعد)، وانظر الزبيدي
في تاج العروس (٩: ١٧٣ مادة حران)

١٤٠٦٢

للطبايئ المورخ الشهير. وقد أسلم هلال في أواخر أيامه،
وحسن إسلامه^(١). ويُسَدُّ أول أبناء بيته الذي ترك نحلته
الفديعة ليسلم

تغلغل هلال في دار الخلافة للعباسية ببغداد، فعرف نواحيها
ورسومها وأسرارها، وبرع في آداب الخلفاء ومجالستهم حتى فاق
جده إبراهيم؛ ذلك الذي خنق التسمين في خدمتهم. وتولى
هلال أموراً عديدة منها ديوان الإنشاء^(٢)، وعُين حيناً كاتباً
لأسرار نضر الملك أبي غالب محمد بن خلف الذي ترك له مبلغاً
كبيراً من المال عند وفاته، غير أن هلالاً امتنع عن التصرف فيه،
لأنه كان يتقاضى ما يمكنه من للميش من الدولة فترك الإرث
لابنه غرس النعمة^(٣)

اشتهر هلال بتاريخه، كما اشتهر جده إبراهيم برسائله.
وقد أدرجه القفطي في كتابه «تاريخ الحكماء» في سجل من
اشتهر بتدوين التاريخ. فهو يتتدى بذكر الطبري، وينتقل إلى
ذكر أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله فالفرغاني، إلى أن قال:
«فإن قرنت به [أي كتاب التاريخ لثابت بن سنان] كتاب
للفرغاني الذي ذيل به كتاب للطبري فعم للفعل تفعل، فإن
في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض
الأماكن، ثم كتاب هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي، فإنه
داخل كتاب خاله ثابت وتم عليه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة
[أي قبل وفاته بسنة واحدة]، ولم يتعرض أحد في مدته إلى
ما تعرض له من إحكام الأمور والاطلاع على أسرار القول،
وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع،
وتولى هو الإنشاء أيضاً، فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه
ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال، وهو كتاب

- (١) سبط ابن الجوزي في سمرآة الزمان: - ينقل ما رواه هلال من
نصه إسلامه - مخطوط ذو رقم (١٥٠٦ عربى) من دارالكتب الأهلية
بباريس، ورقة ١١، ١٩، ٢٠. [من الدكتور مصطفى جواد]
(٢) مجلة الجمعية الآسيوية للمسكية البريطانية، سنة ١٩٠١
(س ٥٠١ و ٧٤٩)
(٣) راجع المعلقة الإسلامية (٤: ٢١)، ومقدمة تحفة الأمراء
في تاريخ الوزراء س ٦

د من أول هذه السنة ابتداء أبو الحسن محمد بن هلال بن الحسن ابن إبراهيم اللصابي، الكاتب، ويسمى غرس النعمة تاريخه وذنبه إلى تاريخ أبيه هلال، وزعم أن تاريخ أبيه انتهى إلى هذه السنة^(١). وصنف كتباً أخرى نفيسة كان مسيرها التضياع^(٢) وكانت وفاة محمد غرس للنعمة سنة ثمانين وأربعمائة، فزال مجد يثقه بموته^(٣)

وضع هلال طائفة من الكتب الجليلة في بحوث متنوعة، سطت على أغلبها يد الزمن العاتية، فلم يسلم منها إلا النذر اليسير وقد انتصرت المراجع القديمة على ذكر بعض من مؤلفاته فإن ابن خلكان يقول: «... ورأيت له تصنيفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة، وسماه كتاب الأمثال والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان، وهو مجلد واحد، ولا أعلم هل صنف سواه أم لا...»^(٤)

وذكر هذا الكتاب ياقوت الحموي قال: «... وصنف [هلال] كتاب الأمثال والأعيان... جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر، وهو كتاب ممتع. ومما يستحسن من تلك الأخبار، قال: حدث القاضي أبو الحسين عبد الله بن عياش [عباس بالأسل] أن رجلاً انصلت عقلته وانقطعت مدته...»^(٥)

وقد جاء باسم «الأعيان والأمثال» في كتاب بدائع البداهة لبلي بن ظافر الأزدي المصري

أولاً — قلنا: هذا الكتاب هو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، وهو تكملة لتأليف الصولي والجهشياري، ولم يبق لنا منه إلا البداءة التي نشرت، حيث أن تراجم بعض الوزراء قد فقدت. ذكر فيه أخبار وزراء بني العباس وشرح أحوالهم ومجاري أمورهم. ابتداءً بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن

(١) سبط ابن الجوزي في المرجع الآنف الذكر، وحاجي خليفة (٢: ١٣٨)

(٢) القفطي ص ١١٠، وابن خلكان في وفيات الأعيان (بولاق ٢: ٣٠٠)، وحاجي خليفة (٦: ٥٠٣)

(٣) العلة الإسلامية (٤: ٢٢)

(٤) ابن خلكان (٢: ٢٩٩ — ٣٠٠)، وابن الهادي في شذرات الذهب (٣: ٢٧٩)

(٥) ياقوت الحموي في معجم الأديب (طبعة مرجليوث ٧: ٢٥٥)، وهذه الحكاية التي نقلها ياقوت تواتق ما ورد في ص ١١٣ من تحفة الأمراء

حسن إلى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل، وقصر في آخر للكتاب لما نفع منه الله أعلم به...»^(١)

ثم شهد له مرة أخرى حيث قال: «ولولاها [نابت وهلال] لجهل شيء كثير من التاريخ...»^(٢)

وهذا السخاوي مجده يذكر هلالاً في ثبت من ألف في التاريخ العام، ثم يعود إليه ثانية فيذكره ضمن من اشتهر في كتابة تاريخ الوزراء^(٣)

سمع هلال قبل أن يسلم جماعة من مشاهير النحاة وتآدب بهم، منهم: أبو علي الفارسي النحوي، وعلي بن عيسى الرماني، وأبو بكر أحمد بن محمد بن الجراح الحراري. فنبغ في علمه وأدبه حيث قال فيه سبط ابن الجوزي: «... كان هلال من الفصحاء وله للكلام الفصيح والنثر المليح»

اشتهر بالصدق والأمانة، كما شهد له بهذا فريق من مشاهير للكتابة. منهم الخطيب البغدادي الذي كان معاصراً له قال فيه: «... كان هلال ثقة صدوقاً»^(٤). وذكره آخرون بكل ثناء وتقدير في مناسبات مختلفة: كياقوت الحموي، وابن أبي أصيبعة وابن عبد الحق، والسخاوي، وحاجي خليفة، وغيرهم...

توفي هلال ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين للهجرة عن تسع وثمانين سنة. قال فيه ابنه: «توفي والدي الرئيس أبو الحسين هلال... فانتفض السؤدد بمصابه، وانتم للفصل بذهابه»

وتوفي هلال عن بعض الولد، أخصهم بالذكر أبو الحسن محمد «غرس النعمة» رزقه سنة ٤١٦ للهجرة بميد انتقاله إلى الإسلام حيث قال عن نفسه في قصة إسلامه: «إن النبي (ص) قال له في المرة الثانية: «وتحقيق رؤياك إياي أن زوجتك حامل بسلام، فإذا وضعت فسمه محمداً. فكان كما قال. ولد له ذكر فسماه محمداً وكناه أبو الحسن. وكان هذا الأمر من جملة ما رآه هلال في المنام ومجيء النبي (ص) إليه ثلاث مرات يدعوها إلى الإسلام.»

نشأ محمد غرس النعمة في كنف أبيه وفي رعابته، فأخذ عنه للعلم والأدب فنبغ فيما. وقضى بعض الزمن في دار الإنشاء للخليفة القائم. قال سبط ابن الجوزي في أول حوادث سنة ٤٤٨:

(١) و (٢) القفطي في تاريخ الحكماء (ليبسك ص ١١٠، ١١١) وانظر حاجي خليفة في كشف الظنون (طبعة تلوجل ٢: ١٢٣)

(٣) السخاوي في الأعلان بالتوبيخ (ص ٩٧، ١٥٩)

(٤) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٤: ٧٦)

تاسماً — كتاب رسوم^(١) دار الخلافة : وهو القدي نمني بتحريره وتعليق حواشيه ونشره^(٢)
وقبل البدء في وصف هذه المخطوطة نقول^(٣) : إن وثائق
هلال هي تسعة ، عرف منها حتى الآن : (١) تحفة الأمراء في
تاريخ الوزراء ، (٢) قطعة من كتاب التاريخ ، (٣) رسوم
دار الخلافة .

وصف شامل لمخطوطات رسوم دار الخلافة

- ١ — عثر عليها في دار الكتب الأزهرية بالقاهرة ، وهي
خالية من الرقم
- ٢ — عنوانها مثبت بمفرده على الصفحة الأولى وبالصورة
التالية : « رسوم دار الخلافة تأليف أبي الحسين هلال بن الحسن
ابن إبراهيم الصابئي »
- ٣ — تشمل المخطوطة على ٢٠٣ صحائف في كل منها بين
٨ — ١٤ سطراً
- ٤ — كتابتها ينطب على نوعها الخط الديواني ، صعب القراءة
وقد استعمل للنسخ لألفاظ الأعداد كتابة ديوانية أيضاً لكنها
في منتهى الغرابة ، إذ يصعب حلها وقرأتها ، وقد يحار بين يديها
للكتيب من النسخ والكتاب ، حتى من تصلح من قراءة المخطوطات
المنطقة .
- ٥ — المخطوطة حاملة بالسجلات المنقطة ، قليلة التقييد ، خالية
من الحركات وعلامات الوتف . وهذه النواقص وغيرها جعلت
كثيراً من السجلات تقرأ على غير وجه واحد

(١) الرسوم ومفرداتها الرسم ويراد بها في هذا السفر منيان ، نوردما
هنا بوجه الاختصار لتعريف بهما دون التعميل
الأول : مجموع الماديات التي يجري عليها في مقابلة الناس أو معاملتهم
في شؤون الألفة . وهذا ما يعرف في الفرنسية بـ *Etiquette*
والذي الثاني : مجموع الاحتراف بالناس في الأمور السياسية والقيام بها
وفي مقابلة الملوك وعظام الدول وهذا يعرف بالفرنسية بالـ *protocole*
وهذان المنيان يتضحان كل الانضاح من عناوين فصول الكتاب
وشروحها (المعاد)

(٢) بسطنا في مقدمة هذا الكتاب وهي التي أئبناها في موطنها ، قصة
الشور على هذه المخطوطة الفريدة واقترن ذلك بالشكر لمن كان سبب الخير
في بثها من التلف . ثم الاعتراف لأوثقك اللسان المحققين الذين جاهدوا
معنا في كشف كثير من معيبتها ، وإمدادهم لنا بتعاليمهم الطريفة
(٣) استمنا في سرد مؤلفات هلال بما كتبه المستشرق نرينس كرنكو
F. Krenkow في مجلة الاسلام (٤ : ٢١ - ٢٢)

الفرات نشره المستشرق الإنكليزي آمدروز Amedroz (بيروت
مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤) ووضع له مقدمة وملاحظات
باللغة الإنكليزية في نحو ٤٠ صفحة ، وفهرساً لأسماء الرجال
وآخر لأسماء الأماكن . وفي أدله نبذة في ترجمة هلال الصابئي
ومؤلفاته ، نقل أغلبها عن سبط بن الجوزي ، وورقتان
بالفرنسية^(١) في جانب من ترجمة أبي إسحق الصابئي^(٢)

ثانياً — كتاب التاريخ : ذيل به تاريخ خاله ثابت^(٣) بن ستان
— كما صرح بذلك الففطاني في تاريخ الحكماء ص ١١٠ —
ويحتوي على الحوادث التي وقعت من سنة ٣٦٠ - ٤٤٧ هـ .
والمعاملة التي نشرت نحوى حوادث السنوات (٣٨٩ - ٣٩٣ هـ)
وإن الأخبار الصادقة في هذه القطعة خير برهان على نفاة
الكتاب . نشره أيضاً آمدروز مع تحفة الأمراء بعنوان : « الجزء
الثامن من كتاب التاريخ » (ص ٣٦٦ - ٤٨٤)

ثالثاً — غرر البلاغة في الرسائل : وهومقتطفات من رسائله
الخاصة به . ذكره القلقشندي حين كلامه على نسخ الأيمان المتعلقة
بالخلفاء ، واقتطف منه نسخة بين^(٤)

رابعاً — كتاب الرسالة عن الملوك والوزراء : وهو مجموع
رسائل الرسمية ، وتذكرنا رسائل جده أبي إسحق إبراهيم الصابئي
خامساً — كتاب أخبار بغداد : وهو تاريخ جليل لمدينة
بغداد يشهد بذلك ما نقله ياقوت عنه في معجمه للبلداني^(٥)
سادساً — كتاب ماثر أهل : وهو تاريخ لأهل بيته .
ولاشك أنه حوى معلومات طريفة عن نبغ من أهل في مختلف
النواحي العلمية والأدبية والسياسية

سابعاً — كتاب الكتاب : وهو تأليف يخص كتيبة الأمراء
والظاهر أنه على غرار مصنف الصولي واسمه كاسمه
ثامناً — كتاب اللياسة : لم يصل إلينا منه شيء

- (١) تبايان الصحائف : ٤٣٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ من تحفة الأمراء
- (٢) فهرس دار الكتب المصرية (٥ : ١٢٦)
- (٣) حاجي خليفة (٢ : ١٢٣)
- (٤) القلقشندي في صبح الأعيان (١٣ : ٢١١)
- (٥) ياقوت الحموي في معجم البلدان (ليبك : ١ : ٢٥٥٨ : ٢٥٥٠ ،
٥٤٢ ، ٥٦٥ ، ٤ : ١٢٣)

(١٧٤ - ١٧٧) ما يذكر في أواخر الكتب... (١٧٧ - ١٧٨) الطروس التي يكتب فيها إلى الخلفاء عنهم؛ والخرائط التي تحمل الكتب صادرة وواردة، (١٩٢ - ١٩٤) ضرب الطبل في أوقات الصلوات، (١٩٤ - ١٩٦) خطب للنكاح، (١٩٦ - ٢٠٣) خاتمة للكتاب

ويؤخذ من كلام هلال في مقدمة الكتاب وخاتمته أنه ألفه في زمن الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وأنه استفاد كثيراً من خبرة جده إبراهيم في مثل هذه الشؤون التي يتطوى عليها الكتاب (بفسداد) سبأيل عوار

٦ - في بعض مواطنها شيء من الحرم، كما أن الأروسة نعت لمبها فاستعانت أكل بعض المواضع فغاب رسمها
٧ - وردت كلمة «رحمة الله عليه» ٤٦ مرة، فكُتبت ٤٥ مرة بالتاء المبسوطة أي «رحمت» (الله عليه)، وصرة واحدة بالهاء المربوطة أو المقوودة

٨ - استعمل المؤلف كثيراً من الكلمات الفارسية التي شاع استعمالها في الدولة العباسية، وكان قد ألفها الناس وجرت على ألسنتهم، وغالب هذه الكلمات هي أسماء لآلات الحرب، وطائفة من أسماء اللباس والطعام

٩ - جاء في الصفحة (٢٠٣) وهي الأخيرة للمباراة التالية: «عورض به الأصل بخط المصنف وصح والحمد لله رب العالمين» وأعقبها: «الحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً وحسبنا الله ونعم الوكيل»، ويتلوها ما نصه: «كان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء التاسع من رجب سنة خمس وخمسين وأربعمائة من الأصل بخط الأستاذ أبي الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم رحمه الله» ١ هـ

وهذا النص يبين لنا قدمها، وكانت استنسخت عن نسخة المؤلف بعد وفاته بسبع سنوات، وعلى ما بدا لنا، فإن هذه للنسخة فريدة، لأن فهارس المخطوطات الليرية في خزائن كتب أوربة والشرق لم تشر إلى وجودها فيها يتقوم الكتاب من تسعة عشر فصلاً عدا المقدمة والخاتمة وهي كما يلي:

(للمصفحة ٢ - ٨) المقدمة، (٨ - ٣٧) ذكر أحوال المدار المرزبة [دار الخلافة]، (٣٨ - ٩٨) آداب الخدمة، (٩٨ - ١٠٩) قوانين الحجابة ورسومها، (١٠٩ - ١١٧) من الرسم أن يزم الناس فلا يسمع لهم صوت ولا لفظ، (١١٨ - ١٢٤) آداب مسابقة الخلفاء في الواكب، (١٢٥ - ١٢٧) جلوس الخلفاء وما يلبسونه في الواكب، (١٢٧ - ١٣٣) رخلع التقليد والتشريف والنادمة، (١٣٣ - ١٣٧) ما يحلف به الخليفة عند التقليد والتشريف بالتمكينة والتقب، (١٣٧ - ١٤٤) رسوم الكتابات عن الخلفاء في صدورهم وعنواناتها والأدعية فيها وما يباد منها في أواخرها، (١٤٤ - ١٤٨) خطاب الخلفاء في للكتب والأدعية (١٤٨ - ١٥١) رسوم الكتب عن الخلفاء (١٥٢ - ١٧١) الدعاء للكاتيبين عن الخلفاء وما كان الرسم أولاً جارياً به وانتهى أخيراً إليه، (١٧١ - ١٧٤) الانتساب إلى مولى أمير المؤمنين

اعلان

مجلس مديرية قنابطرح في المناقصة العامة توريد
(١) الأدوات المدرسية ومصورات الأشياء وخامات أشغال الابرة
(٢) الأثاثات الخشبية والصلب وأدوات النظافة والشرب
(٣) مجموعات الأدوية
(٤) ملابس غلمان ملجأى الأيتام
(٥) ترميم مدارس الخادمة والدير وأبى مناع غرب الأزامية والقوائم والشروط الخاصة بذلك
تطلب من إدارة المجلس نظير توريد مبلغ خمسين ملياً ثمناً لكل قائمة من القوائم الحس الموضحة بماليه على أن يكون طلب هذه القوائم على ورق مدموغ من فئة الثلاثين ملياً ولا تقبل طوابع البريد

وقد تحدد ظهر يوم الأحد ٢٣ بونيه سنة ١٩٤٠ لفتح المظاريف . ٦٨٧٨